La Comédiathèque
النافذة المقابلة
جان بيير مارتينيز
comediatheque.net

يمكن تحميل نص هذه المسرحية مجانًا.
لكن أي عرض علني، احترافيًا كان أو هاويًا، يتطلب الحصول على إذن مسبق ودفع حقوق العرض المستحقة.
للحصول على معلومات حول إجراءات الترخيص وعرض أحد أعمال جان بيير مارتينيز:
https://comediatheque.net/contact-form
https://jeanpierremartinez.net/en/contact-2

النافذة المقابلة

جان بيير مارتينيز
ترجمة المؤلف

روائي مسنّ على شفا الانتحار، تقتحم منزله شابة تدّعي أنها أضاعت قطّها. زيارة ستغيّر حياته...

الشخصيات:
ألكسندر
ماديسون

© La Comédiathèque

صالون في شقة باريسية، بأجواء بوهيمية. على مكتب صغير آلة كاتبة قديمة وبعض الملفات. يدخل ألكسندر، كاتب في الستين من عمره أو أكثر، يرتدي ملابس توحي بإهمال مدروس. يحمل حبلاً في طرفه عقدة مشنقة. ينظر إلى السقف، ثم يصعد على كرسي وكأنه يبحث عن مكان يعلّق فيه الحبل. لا يجد ما يناسبه، فينزل عن الكرسي. يجلس إلى المكتب ويطلق تنهيدة ضجر. يفتح درجًا، يأخذ علبة سجائر ويضع سيجارة في فمه. لكنه بدل أن يشعلها، يعيدها إلى المكتب ويخرج من الدرج مسدسًا. يتأمل السلاح طويلاً. يُسمع طرق خفيف على الباب. غارقًا في أفكاره، لا يسمع. يضع فوهة المسدس على صدغه. يُسمع طرق آخر، أعلى قليلًا. لا يسمع أيضًا. يبدو مترددًا في ضغط الزناد. يغمض عينيه... وفجأة تظهر أمامه شابة. إنها ماديسون، طالبة يمكن أن تكون في العشرين أو الثلاثين، ترتدي ملابس كلاسيكية إلى حد ما.

ماديسون: صارخة لا!

يفزع ألكسندر ويرتد إلى الخلف، ثم يقف فجأة ويوجّه سلاحه نحو ماديسون.

ألكسندر: حركة واحدة وتموتين!

ماديسون: لا تطلق النار، أرجوك!

ألكسندر: ارفعي يديك!

ترفع الشابة ذراعيها فورًا.

ماديسون: ها أنت ترى، لست مسلّحة... والآن أرجوك، اخفض سلاحك.

حين يرى أنها لا تبدو خطرة، يخفض المسدس.

ألكسندر: ما الذي تفعلينه هنا بحق الجحيم؟ وكيف دخلت أصلًا؟

ماديسون: سأشرح لك كل شيء... دعني ألتقط أنفاسي...

ألكسندر: أنت مجنونة! كدت أموت من سكتة قلبية!

ماديسون: أنا آسفة، كان الباب مواربًا و...

ألكسندر: فاعتبرتِ ذلك دعوة إلى دخول بيتي؟

ماديسون: لا، لكن...

ألكسندر: ماذا تريدين؟ سرقتي؟ لا يوجد هنا شيء ذو قيمة، صدقيني.

ماديسون: أنا جارتك.

ألكسندر: الجارة التي بجانبي؟ عمرها ثمانون سنة...

ماديسون: الجارة المقابلة...تشير إلى نافذة متخيَّلة في جهة الجمهور. تلك النافذة هناك هي نافذة شقتي.

ألكسندر: المقابلة؟ الشقة خالية منذ سنوات.

ماديسون: لم تعد كذلك.

ألكسندر: حسنًا... وماذا بعد؟

ماديسون: أضعت قطّي... ألم تره بالصدفة؟ أو ربما آويته عندك... إذا كان قد دخل هو أيضًا من دون دعوة...

ألكسندر: لا، لم أفعل. يبدو أن قطك أكثر تهذيبًا منك...

تبدو متأثرة جدًا.

ماديسون: اختفى منذ يومين. علّقت إعلانات في كل الحي، باسمه وصورته. ألم ترها؟

ألكسندر: نادرًا ما أخرج... ولا أنظر إلى هذا النوع من الإعلانات. ثم إنني لست بارعًا في تمييز وجوه القطط...

تخطو بضع خطوات في الغرفة.

ماديسون: توفو! توفو!

ألكسندر: ما الذي أصابك لتصرخي هكذا؟ هل أنت مريضة؟

ماديسون: اسمه توفو.

ألكسندر: قطك اسمه توفو؟ هل تمزحين معي؟

ماديسون: أبدًا. لماذا؟

ألكسندر: حسنًا، قطك اسمه توفو ولم يعد إلى البيت منذ يومين. الأمر ليس بهذه الخطورة، أليس كذلك؟

ماديسون: بل هو خطير طبعًا! إذا لم أجده بسرعة فقد يموت... إنه قط منزلي، لا يعرف كيف يعيش حرًا في الشارع...

ألكسندر: هذا مؤسف جدًا. في زماني كانت القطط تعيش في الريف، أو في بيت له حديقة كبيرة على الأقل. تقضي وقتها في صيد الفئران، ولا تعود إلى البيت إلا إذا فشلت في الصيد، فنطعمها قليلًا، وندعها، ونتركها تنام على الأريكة...

ماديسون: حسنًا، هذا القط لا يأكل الفئران. إنه نباتي.

ألكسندر: عفوًا؟

ماديسون: أنا لا آكل اللحم، وقطي أيضًا.

ألكسندر: وماذا يأكل إذن؟

ماديسون: طعامًا جافًا! حبيبات بالخضار، مثلي.

ألكسندر: أنت أيضًا تأكلين الحبيبات؟

ماديسون: أحيانًا، نعم. ليس طعام القط طبعًا.

ألكسندر: قط نباتي... لم أكن أعرف أن ذلك موجود أصلًا... ولهذا سميته توفو؟

ماديسون: نعم... ولأن «توفو» يشبه في الفرنسية عبارة تعني «مجنون تمامًا».

ألكسندر: وأفترض أن الامتناع عن اللحم كان اختيارًا شخصيًا منه، طبعًا؟

ماديسون: على أي حال، لم يشتكِ قط.

ألكسندر: وهل تظنين أنهم في السيرك صاروا يطعمون النمور والأسود أيضًا حبيبات بالخضار؟

ماديسون: لا أعرف... على أي حال أنا ضد استخدام الحيوانات في السيرك...

ألكسندر: لكن لستِ ضد حبس القطط في الشقق...

ماديسون: أستنتج أنك لا تملك حيوانات أليفة...

ألكسندر: لا. أكره فكرة «الحيوان الأليف»، وأكره فكرة التدجين عمومًا.بنبرة مهدِّدة. أنا نفسي بقيت متوحشًا...

من دون أن تتأثر، تلقي نظرة حول الغرفة.

ماديسون: إذن، لم تر قطّي؟

ألكسندر: لا، لم أر قطك النباتي. وإذا سمحتِ لي، أظن أن هذه المحادثة العبثية طالت بما يكفي.

تتجمد فجأة.

ماديسون: اصمت!

ألكسندر: عفوًا؟

ماديسون: ألم تسمع مواء؟

ألكسندر: مواء؟ لا، إطلاقًا. لكنني بدأت أفقد بعض السمع. سترين حين تبلغين سني أن لهذا بعض المزايا أيضًا، خصوصًا إذا كان الجيران كثيري الضجيج...

ماديسون: أنا لا أحدث أي ضجيج، أؤكد لك. أسكن في الشقة المقابلة منذ أكثر من شهر، ومع ذلك كنت تظن أنها ما زالت خالية.

ألكسندر: حسنًا، لم ألاحظ وجودك، وأتمنى أن يستمر الأمر على هذا النحو. فإذا لم يكن لديك شيء آخر، دعيني أعود إلى شؤوني واذهبي للبحث عن قطك...

ماديسون: حسنًا، لن أزعجك أكثر...

ألكسندر: شكرًا.

تتظاهر بأنها ستغادر، ثم تتراجع.

ماديسون: لكن... لا أشعر بالارتياح لأن أتركك هكذا.

ألكسندر: هكذا كيف؟

ماديسون: حين دخلت، كنت على وشك أن...

ألكسندر: أن ماذا؟

ماديسون: لم تكن تبدو على ما يرام، أليس كذلك؟

ألكسندر: وما الذي جعلك تظنين ذلك؟

ماديسون: كان المسدس على صدغك.

ينظر إلى المسدس الذي ما زال في يده، و كأنه يتذكره فجأة.

ألكسندر: آه، هذا... وماذا في ذلك؟

ماديسون: أعني... تبدو مكتئبًا قليلًا، أليس كذلك؟

ألكسندر: مكتئبًا؟ اسمعي يا آنسة، حين كنت في سنك كان شعار جيلنا: «عِش سريعًا، مُت شابًا، واترك جثة جميلة». هل يعني لك ذلك شيئًا؟

ماديسون: جيمس دين...

ألكسندر: كنا نمارس الجنس بلا واقٍ، ونقود الدراجات النارية بلا خوذة، ونتعاطى كل أنواع المواد المحظورة التي، صدقيني، لم يكن أحد يعرف بالضبط مما تتكوّن... وبعد خمسين سنة، صار القلة من الشيوخ مثلي الذين نجوا من تلك الحقبة السعيدة يتظاهرون في الشوارع لأنهم يخافون من اللقاح... وتريدين مني ألا أكتئب؟

ماديسون: أفهم...

ألكسندر: لا أظن ذلك... لكن إن كان سوء حظك أن تعيشي حتى سني، فستفهمين. الشيخوخة غرق.

ماديسون: ديغول...

ألكسندر: قالها الكاتب شاتوبريان قبله... لكنك محقة. أن تشيخ يعني أن تنتقل من «جنون الحياة» إلى «مذكرات ما وراء القبر».

ماديسون: تعبير جميل.

ألكسندر: نعم... المشكلة أن شباب اليوم يتصرفون منذ الآن كالعجائز.

ماديسون: في كل العصور أراد الشباب تغيير العالم، أليس كذلك؟

ألكسندر: شباب اليوم لا يريد تغيير العالم، بل يريد فقط إنقاذ الكوكب. ويبدو أن الأمور لا تسير جيدًا...

ماديسون: وأنت، هل نجحت في تغيير العالم؟

ألكسندر: لا، لكننا على الأقل استمتعنا كثيرًا.

ماديسون: لا تبدو مستمتعًا كثيرًا الآن...

ألكسندر: ويبدو أنك أنت أيضًا لا تستمتعين كثيرًا... وإلا لما كنتِ تعيشين قصة حب مع قط.

ماديسون: على الأقل لست وحدي...

ألكسندر: وهل تعتقدين حقًا أنك ستنقذين الكوكب... بإطعام هذا الحيوان اللاحم المسكين، الذي لم يطلب شيئًا، حبيبات بالخضار؟

ماديسون: لا أعرف... لكن لتغيير العالم علينا أولًا إنقاذ الكوكب، أليس كذلك؟ ما فائدة أن نقوم بثورة على متن سفينة تايتانيك؟

ألكسندر: على أي حال، أحسد كل أبناء جيلي الذين ماتوا قبل الثلاثين. هل تتخيلين جيمي هندريكس وجانيس جوبلين في دار للمسنين، يناقشان مخاطر لقاح محتملة بين جولتين من لعبة سكرابل؟ الموت أفضل من رؤية ذلك...

ماديسون: لا تقل هذا...

ألكسندر: للأسف، الأدب ليس «روك أند رول» كثيرًا. وغالبًا ما يموت الكتّاب في أسرّتهم.

ماديسون: أنت كاتب؟

ألكسندر: هذا لا يعنيك... لا أعرف أصلًا لماذا أحدثك عن كل هذا، فأنا لا أعرفك... وبالمناسبة، ماذا تفعلين هنا حتى الآن؟

يعيد المسدس إلى الدرج.

ماديسون: كان يمكن أن تؤذي نفسك...

ألكسندر: وكان يمكن أن أقتلك أيضًا... عندما يقتحم المرء بيت شخص آخر، فهذا خطر وارد... كنت سأدّعي الدفاع عن النفس، وربما لم أُدان أصلًا...يلاحظ أنها بدأت تشعر بالدوار، فيقلق عليها. هل أنت

بخير؟

ماديسون: عذرًا، ستمرّ... هل لديك كوب ماء؟

يتردد لحظة.

ألكسندر: اجلسي قليلًا، سأحضره لك...

يخرج. تستعيد نشاطها فوراً وتستغل غيابه لتتفحص الغرفة. تلتقط من فوق المكتب صورة امرأة في إطار وتتأملها، ثم تعيدها بسرعة حين يعود حاملاً كوب ماء ويمده إليها.

ماديسون: شكرًا...

تأخذ الكوب وتشربه دفعة واحدة.

ألكسندر: أفضل الآن؟

ماديسون: نعم، شكرًا...

يحاول أن يلين قليلًا.

ألكسندر: آسف على طريقة استقبالي لك... لم أعد معتادًا كثيرًا على رؤية الناس...

ماديسون: إذن أنت أيضًا تعيش وحدك؟

ألكسندر: واضح إلى هذه الدرجة؟

ماديسون: من كلامك، أظن أنك لا تملك أطفالًا أيضًا.

ألكسندر: وما الذي جعلك تظنين أنني بلا أطفال؟

ماديسون: هل لديك أطفال؟

ألكسندر: لا... وعندما أرى العالم اليوم، أحمد حظي أنني لم أنجب...

ماديسون: نعم...

ألكسندر: إذا أردتم إنقاذ الكوكب، ربما عليكم أن تبدؤوا بالتوقف عن إنجاب الأطفال، أليس كذلك؟

ماديسون: لكن... هل سننقذ البشرية فعلًا إذا توقفنا عن الإنجاب؟

ألكسندر: وحين نفكر أن فرنسا ربما تكون من أفضل البلدان في العالم للعيش...

ماديسون: نعم، ولهذا قررت أن آتي لأعيش في بلدكم...

ألكسندر: أنت لست فرنسية؟

ماديسون: اسمي ماديسون. أنا أمريكية.

ألكسندر: ومع ذلك تتكلمين الفرنسية بإتقان ومن دون أي لكنة...

ماديسون: جدتي كانت فرنسية. هي التي علمتني الفرنسية، لغة موليير. جئت إلى باريس لأدرس الأدب في جامعة السوربون.

ألكسندر: وهو إذن مجرد صدفة محضة أن أجدك اليوم في طريقي... ماديسون.

ماديسون: اسمك ألكسندر، أليس كذلك؟

ألكسندر: كيف عرفتِ؟

ماديسون: رأيت اسمك على صندوق البريد في الأسفل. ألكسندر دولاكروا... هل تربطك صلة بـ...

ألكسندر: بالرسام؟ لا، إطلاقًا.

ماديسون: بالكاتب!

ألكسندر: أنت أمريكية ومع ذلك تعرفين ألكسندر دولاكروا... الذي لم يعد أحد في فرنسا يتذكره.

ماديسون: أنت تبالغ... الجميع يعرف ألكسندر دولاكروا، وشهرته تجاوزت فرنسا بكثير. على الأقل بين المهتمين بالأدب. إذن؟

ألكسندر: نعم... أنا هو.

ماديسون: حقًا؟ ألكسندر دولاكروا، ذلك الكاتب الأسطوري صاحب عدة روائع من أدب القرن العشرين!

ألكسندر: إذا كنت تقولين ذلك...

ماديسون: كاتب غامض يعيش اليوم منعزلًا، لم ينشر شيئًا منذ سنوات، ويرفض كل المقابلات... أنت فعلًا؟

ألكسندر: ثمة ما يخبرني أنك كنت تعرفين ذلك قبل أن تدخلي منزلي بهذه الطريقة. هل أنا مخطئ؟

تتردد لحظة.

ماديسون: لا، أعترف...

ألكسندر: إذن اخترعت قصة القط لتحصلي على مقابلة...

ماديسون: قصة القط حقيقية، أقسم لك... لكن صحيح أيضًا أنني حين جئت للسكن في الشقة المقابلة كان في ذهني شيء آخر.

ألكسندر: استأجرتِ عمدًا شقة مقابلة لشقتي حتى تتجسسي عليّ؟

ماديسون: أتجسس عليك؟ أبدًا! أنا من أشد المعجبين بكتبك. حين وصلت إلى باريس حاولت الاتصال بك، لكن وكيلك أبلغني أنك لا تريد مقابلة أحد.

ألكسندر: وأي جزء من هذه الجملة لم تفهميه؟

ماديسون: عبرت المحيط الأطلسي على أمل أن ألتقي بك. وكنت أبحث عن شقة. وحين وجدت الشقة المقابلة معروضة للإيجار اغتنمت الفرصة...

ألكسندر: أنت مجنونة تمامًا! إذا لم تتركيني وشأني فسأبلغ عنك بتهمة المضايقة. ثم ماذا تريدين مني أصلًا؟ هل أنت صحفية؟

ماديسون: أنا طالبة، قلت لك. أعددت في نيويورك بحث الماجستير عن أعمالك، ثم قررت المجيء إلى باريس لمواصلة بحثي، لأن معظم رواياتك تدور أحداثها في هذه المدينة. بالنسبة إلى الأمريكيين، باريس هي أكثر مدن العالم رومانسية.

ألكسندر: وبمثل هذه الصور النمطية تظنين أنك ستكشفين المعنى الخفي لأعمالي؟

ماديسون: هل تريد معرفة عنوان أطروحتي؟

ألكسندر: لا.

ماديسون: «صورة الغياب في العالم الروائي لألكسندر دولا كروا».

ألكسندر: لقد فهمتِ كل شيء... أكثر ما يعجبني في معظم الناس، وأنت أولهم، هو غيابهم. لذلك أطلب منك أن ترحلي.

ماديسون: حين يحالف الباحث الحظ ويدرس كاتبًا ما زال حيًا، فمن الطبيعي أن يرغب في لقائه، ليتعرف إليه أكثر، ويفهم أعماله من خلال حياته أيضًا.

ألكسندر: هذا خطأ، أؤكد لك. الأفضل أن ندرس العمل ولا نعرف شيئًا عن صاحبه. كثير من كبار الكتّاب كانوا أشخاصًا صغارًا جدًا في الحياة، إن لم يكونوا أوغادًا حقيقيين. وهذا ينطبق على الفنانين والعلماء أيضًا. هكذا هي الأمور. العباقرة نادرًا ما يستفيدون من معرفتهم عن قرب... مع أنني، اطمئني، لا أعتبر نفسي عبقريًا.

ماديسون: أتفهم تواضعك، لكن رغم ذلك... مقابلة حصرية مع مؤلف رواية «حكايات الحي اللاتيني» ستكون تتويجًا لبحثي.

ألكسندر: قرأتها؟

ماديسون: هذه الرواية هي التي أقنعتني بالمجيء إلى باريس للدراسة. بالنسبة إليّ، إنها أفضل كتبك.

ألكسندر: ومع ذلك فهي ليست الأكثر مبيعًا...

ماديسون: أفترض أنها سيرة ذاتية إلى حد كبير.

ألكسندر: قلت لك... هذا لا يهم القارئ...

ماديسون: ناهيك عن ذلك المخطوط الغامض الذي تعمل عليه منذ سنوات...

ألكسندر: أنا لا أكتب شيئًا. إنها أسطورة يروّج لها ناشري حتى لا ينساني الناس تمامًا وتستمر كتبي القديمة في بيع بعض النسخ. وعلى أي حال لن أعطي أي مقابلة، لا لك ولا لغيرك.يقترب منها بنبرة مهدِّدة. والآن اخرجي!

بدل أن تخرج، تواجهه.

ماديسون: لا!

يبدو متفاجئًا من إصرارها.

ألكسندر: ماذا تعنين بـ«لا»؟

ماديسون: لن أتركك تنتحر قبل أن تمنحني هذه المقابلة. كان يمكنني أن أسبح عبر الأطلسي من أجلها!

ألكسندر: عودي من حيث أتيت بقارب بدّالات إن شئتِ، هذا ليس شأني...

تكاد تفقد وعيها من جديد.

ألكسندر: هذه المرة الثانية التي تكادين تُغمى عليك أمامي... تقرئين كثيرًا من الروايات العاطفية يا آنسة. اليوم، خارج خشبة المسرح، لم تعد النساء يُغمى عليهن كلما ضايقهن شيء...

ماديسون: أنا لا أتظاهر، أؤكد لك.

يبدو مترددًا.

ألكسندر: هل تريدين أن أطلب سيارة إسعاف؟

ماديسون: لا، لكنني بحاجة إلى الجلوس قليلًا.

ألكسندر: وبعدها سترحلين؟

ماديسون: أعدك.

تجلس وتستعيد أنفاسها.

ألكسندر: أعطيتك كوب ماء بالفعل... هل تريدين كأس كونياك؟

ماديسون: تحاول أن تقتلني إذن؟

ألكسندر: فات الأوان للأسف. كان يجب أن أطلق عليك النار منذ البداية وأدّعي الدفاع عن النفس. الآن لن أستطيع إنكار سبق الإصرار...

ماديسون: ولماذا تحتفظ بمسدس في البيت؟

ألكسندر: في الأصل كان لإبعاد المزعجين. يبدو أن ذلك لا يكفي...

ماديسون: حتى لو كنت كارهاً للبشر قليلًا، مثل كثير من الكتّاب... فنحن جميعًا بحاجة إلى صحبة، أليس كذلك؟

ألكسندر: أشعر أنك ستقترحين عليّ اقتناء قط... أتريدين التخلص من قطك؟

ماديسون: ألا تثقل عليك الوحدة؟

ألكسندر: الوحدة... مثل القهوة. في البداية تكون مرّة قليلًا، ثم نعتاد عليها، وبعد ذلك نستسيغها، وفي النهاية لا نعود نستطيع الاستغناء عنها.

ماديسون: ينبغي أن تنشر مجموعة من الحكم القصيرة. أنا متأكدة أنها ستباع جيدًا.

ألكسندر: ثم ما معنى ألا تكون وحيدًا؟ أن تعيش مع شخص وتكرر معه التفاهات نفسها طوال السنة؟ أن ترى عائلتك أو أصدقاءك من حين إلى آخر، مع الحرص على تجنب كل المواضيع المهمة التي قد تفسد اللقاء؟ أن تصادف الجيران على الدرج فتتحدثوا عن الطقس؟ أن تتكلم مع قطك وكأنه يفهمك؟

ماديسون: لكن حين تكتب، فأنت تتوجه إلى شخص ما.

ألكسندر: ولهذا تحديدًا توقفت عن الكتابة.

ماديسون: لا أصدقك.

ألكسندر: لا أطلب منك أن تصدقيني. أطلب منك أن تتركيني وشأني...

ماديسون: إذن لن تمنحني هذه المقابلة؟

ألكسندر: لم يعد لدي شيء أقوله. والأسوأ أنه لم يعد لدي أحد أتحدث إليه. وهناك أيام لا أشعر فيها حتى برغبة في مخاطبة نفسي.

ماديسون: هذا محزن...

ألكسندر: هذه هي الحياة... وعلى نحو أو آخر، حياتي تقترب من نهايتها...

ماديسون: وحياتي أيضًا، ربما...

ألكسندر: أنت أصغر مني بأربعين عامًا. كان يمكن أن أكون أباك.

ماديسون: أو حتى جدّي.

ألكسندر: شكرًا على هذا التوضيح اللطيف جدًا. على أي حال، حياتك بالكاد بدأت.

ماديسون: نعم... لكنها قد تنتهي قريبًا...

ألكسندر: ماذا تقصدين؟

ماديسون: لدي مرض في القلب. الأطباء لا يعطونني سوى بضع سنوات لأعيشها. ربما بضعة أشهر فقط. لهذا جئت إلى فرنسا لأحقق حلمًا أخيرًا: أن ألتقي بك...

يهزه هذا الكلام بوضوح.

ألكسندر: ماذا تعنين بمرض في القلب؟

ماديسون: وُلدت بتشوّه في القلب. قلبي هش جدًا، وقد يتوقف في أي لحظة.

ألكسندر: وهذا سبب نوبات الضعف التي تصيبك؟

ماديسون: عند أقل انفعال يتسارع قلبي، وقد يتوقف عن النبض.

يتردد لحظة.

ألكسندر: لا تقولي إنك اخترعت هذه القصة حتى لا أجرؤ على إزعاجك... فأضطر إلى قبول المقابلة.

ماديسون: للأسف، لا...

ألكسندر: أنا آسف من أجلك.

ماديسون: ليس ذنبك.

ألكسندر: لا، لكن يا لها من مفارقة. أنا عجوز، لم أعد أرغب في شيء، وأفكر في إنهاء حياتي... وأنت شابة، والحياة أمامك، لكن قلبك هو الذي يخونك...

ماديسون: لا أستطيع تغيير شيء، فما فائدة أن أتمرد؟

ألكسندر: وفوق ذلك تبتسمين...

ماديسون: أقول لنفسي إن الأشهر التي بقيت لي قد تكون أجمل أشهر حياتي.

ألكسندر: حبك للحياة يصيبني بالاكتئاب. ألا تشكين في شيء أبدًا؟

ماديسون: لم يعد لدي وقت للشك. ولهذا اقتحمت بابك...

صمت قصير.

ألكسندر: ولا يوجد أي أمل حقًا؟

ماديسون: بلى، زراعة قلب. لكن يجب أولًا العثور على متبرع...

ألكسندر: يمكنني أن أهديك قلبي، لم أعد أحتاج إليه... أنتحر وأتبرع لك بأعضائي...

ماديسون: أخشى أن الأمر ليس بهذه البساطة، خاصة بالنسبة إلى القلب. ليس كالأعضاء التي لدينا منها اثنان، مثل الكليتين والرئتين...

ألكسندر: والخصيتين...

ماديسون: بالنسبة إلى القلب، يجب أن يكون المتبرع في حالة موت دماغي...

ألكسندر: موت دماغي؟ أحيانًا أتساءل إن لم أكن كذلك بالفعل. مثل كثير من الناس من حولي، بالمناسبة...

ماديسون: يجب أن يكون المتبرع قد مات، وأن يكون قلبه سليمًا، وأن يتمكن الأطباء من استئصاله بسرعة. وهذا نادر جدًا للأسف. وقائمة المرضى الذين ينتظرون زراعة قلب طويلة جدًا...

ألكسندر: يقال إنهم في الصين يستأصلون الأعضاء من المحكوم عليهم بالإعدام. الأمر أكثر عملية طبعًا. يحددون أولًا موعد الزراعة، ثم يُعدم السجين في اليوم نفسه.

ماديسون: هذا فظيع...

ألكسندر: نعم، لكن بهذه الطريقة يكون لدى المتلقي وقت ليصل بالطائرة من أوروبا أو الولايات المتحدة على مهل. وبعضهم يستغل الفرصة للقيام ببعض السياحة. وبالطبع، هذا ليس مجانيًا. لا أعرف كم يبلغ سعر قلب في الصين. هل بحثت في الأمر؟

ماديسون: لا...

ألكسندر: ستجدين المعلومات بسهولة على الإنترنت...

ماديسون: شكرًا.

ألكسندر: آسف، لا ينبغي أن أمزح في هذا الموضوع... وخصوصًا معك. لكن في الوقت نفسه، لم يبقَ لنا غير الفكاهة، أليس كذلك؟

ماديسون: نعم...

ألكسندر: حتى لو كان ما أخبرتك به الآن أبعد ما يكون عن المزاح...

ماديسون: أفضل أن أموت على أن أعيش بقلب شخص محكوم بالإعدام، حتى لو كان قلبك... إذن؟

ألكسندر: إذن ماذا؟

ماديسون: هل ستكون قاسيًا إلى درجة أن تتركني أرحل من دون أن أحقق حلمي؟

ألكسندر: أنت عنيدة فعلًا...

ماديسون: سأعتبرها مجاملة.

ألكسندر: لكن من يضمن لي أنك لا تكذبين؟

ماديسون: من قد يخترع قصة كهذه؟ فقط من أجل مقابلة كاتب نسيه الجميع بالفعل...

ألكسندر: ها أنت تعترفين أخيرًا بأن الجميع نسي ألكسندر دولاكروا.

ماديسون: إذن وافقت؟

ألكسندر: حين تُرِيني ملفًا طبيًا يثبت أنك لا تكذبين.

ماديسون: آسفة، ليس معي.

ألكسندر: أنت تسكنين في المقابل مباشرة... اذهبي وأحضريه.

ماديسون: كنت أظن أنك ستصدقني من دون دليل. أعترف أنني خاب أملي قليلًا.

ألكسندر: إذا وافقت على هذه المقابلة فهذه مجرد البداية، صدقيني. أنا شخص مخيب للآمال جدًا، سترين.

تنهض وتتأمل الغرفة. يتوقف نظرها عند آلة كاتبة قديمة.

ماديسون: ما زلت تكتب على الآلة الكاتبة؟

ألكسندر: على هذه الآلة كتبت كل رواياتي فعلًا. لكن لا تحاولي الإيقاع بي. قلت لك إنني توقفت عن الكتابة منذ سنوات.

ماديسون: لماذا؟

ألكسندر: الكلمات مثل الأوراق النقدية: إذا أغرقنا السوق بها، فقدت قيمتها... انظري إلى ما يحدث اليوم على شبكات التواصل. كل واحد ينشر رأيه عشر أو عشرين مرة في اليوم، في كل المواضيع. تضخم من العملة الزائفة أفقد العملة الحقيقية قيمتها. الكلمات لم تعد تعني شيئًا.

ماديسون: لا يمكن منع الناس من الثرثرة. في السابق كانت الثرثرة في المقهى، واليوم على فيسبوك. لكن سيبقى هناك دائمًا كتّاب كبار، مثلك.

ألكسندر: الكتّاب الكبار لم نعد نقرأهم. نقتبس منهم. في كل مناسبة ومن دون مناسبة. الجمل نفسها تُكرر مرارًا حتى تُفرغ تمامًا من معناها... النسخ واللصق حلّا محل التفكير... والرموز التعبيرية حلت محل المشاعر.

ماديسون: هل تسمح لي أن أقتبس كلامك في خاتمة أطروحتي؟

ألكسندر: سيتهمونني بالنخبوية. سيقولون إنني أرى أن أقلية مختارة وحدها يحق لها الكلام، وعلى الآخرين أن يصمتوا ويستمعوا. هذا غير صحيح. أنا أعتقد أننا جميعًا ينبغي أن نصمت.

ماديسون: ماذا تقترح؟ دقيقة صمت؟

ألكسندر: دقيقة؟ لا. سنة كاملة. قرنًا. ألف عام من الصمت. ربما تستعيد كلماتنا بعض معناها بعد هذا السيل من الإسهال اللفظي الذي اجتاح شبكات التواصل في السنوات الأخيرة.

ماديسون: تحليل مثير للاهتمام، لكن يقال أيضًا إنك توقفت عن الكتابة بعد صدمة عاطفية؟

ألكسندر: يقول الناس ما يشاؤون...

ماديسون: لكنّك لا تنفي ذلك أيضًا...

ألكسندر: وهذا لا يعني أنه صحيح...

تلتقط مجددًا الصورة الموضوعة على المكتب.

ماديسون: من هذه المرأة في الصورة؟

ألكسندر: هذا لا يعنيك.

ماديسون: إنها جميلة.

ألكسندر: حتى لو كنت مريضة فعلًا، فهذا لا يعطيك الحق في التفتيش في حياتي الخاصة.

ماديسون: لاحظت هذه الصورة فور دخولي قبل قليل... وكان لدي إحساس بأن هذا الوجه مألوف.

يأخذ منها الصورة وينظر إليها، ثم يعيدها إلى مكانها.

ألكسندر: امرأة أحببتها منذ زمن بعيد...

ماديسون: حين كنت هيبيًا؟

ألكسندر: في الواقع، لم أكن هيبيًا تمامًا... كنت منفتحًا على الأفكار الجديدة، وأدخن سيجارة حشيش من حين إلى آخر. لكنني كنت أعتني بصحتي وأفكر منذ ذلك الوقت في مستقبلي المهني. يحتاج الكاتب إلى قدر من الراحة، أتعلمين؟ لكي يصبح المرء كاتبًا كبيرًا، عليه أحيانًا أن يبقى بورجوازيًا صغيرًا...

ماديسون: وهي؟

ألكسندر: كانت امرأة حرة. لا تفكر إلا في اللحظة الحاضرة. تعيش يومًا بيوم.

ماديسون: أين التقيتها؟

ألكسندر: على بسطة الدرج... كانت تسكن الشقة المقابلة، التي تسكنينها أنت اليوم. أو بالأحرى كانت تتقاسمها مع أصدقاء عابرين، أناس يأتون من كل أنحاء العالم: موسيقيون، فنانون... كانت شقة بوهيمية، بابها مفتوح دائمًا للجميع.

ماديسون: وبما أن الباب كان مفتوحًا، استغلت الفرصة ذات يوم وغادرت. مثل قطّي...

ألكسندر: كانت تريد أن تجوب العالم. أن تعيش تجارب جديدة، وتلتقي أناسًا جددًا. في ذلك الوقت لم يكن الزواج التقليدي والحياة الزوجية المستقرة مثالنا الأعلى. على الأقل لم يكن مثالها هي.

ماديسون: لكنها كانت تحبك...

ألكسندر: نعم. بطريقتها، على ما أظن. حتى لو لم تكن تحبني وحدي...

ماديسون: الحب الحر...

ألكسندر: لم نكن نريد أن نشبه آباءنا، وكان معنا حق. لكننا لم نكن نعرف جيدًا ماذا نخترع بدلًا من ذلك، شيئًا يدوم قليلًا... كنا نعيش اللحظة. لم نخطط للشيخوخة... وفي الواقع، من لم يمت منا قبل الثلاثين شاخ بشكل سيئ جدًا. هل سبق أن رأيت واحدًا من أولئك البوهيميين القدامى من جيل «البيتنيك»؟ المنظر ليس جميلًا، أؤكد لك...

ماديسون: إذن تركتها تواصل رحلتها وحدها...

ألكسندر: لم أستطع منعها... ولم يكن لي الحق في ذلك. وفي صباح جميل رحلت...

ماديسون: إلى أين؟

ألكسندر: إلى أفغانستان. يبدو ذلك سرياليًا اليوم، لكن في ذلك الزمن كانت وجهة رائجة جدًا لدى الهيبيين الرحّالة. كان الحشيش يُباع بحرية وبثمن زهيد. وكان من الممكن أن تعمل سنة هنا ثم تعيش سنة كاملة هناك. وفوق ذلك كان هناك ذلك الانبهار بالشرق. من فرنسا، كانت أفغانستان تبدو للهيبيين كالجنة.

ماديسون: أما أنت فبقيت...

ألكسندر: كنت أفكر بالفعل في مستقبلي... وفهمت أن مستقبلي ليس في أفغانستان.

ماديسون: كان يمكنك مرافقتها رغم ذلك. بدافع الحب...

ألكسندر: طبعًا... وربما كانت ستقبل أن أذهب معها. لكن حلمها لم يكن رحلة غرامية، وأقل من ذلك شهر عسل. السفر إلى آسيا كان رحلة لاكتشاف الذات، وكنا نقوم به في جماعة، بعيدًا جدًا عن النموذج البرجوازي الصغير للحب بين شخصين...

ماديسون: إذن بقيت في باريس... لكنك لم تنسها قط.

ألكسندر: كنت آمل أن تعود يومًا... أو أن ترسل لي على الأقل إشارة... بطاقة بريدية... لكنني لم أرها ثانية.

ماديسون: ألم تحاول العثور عليها؟

ألكسندر: لم يكن الإنترنت موجودًا بعد... عندما كان شخص يختار أن يختفي من حياتك، كان يختفي فعلًا. ثم مرت السنوات...

ماديسون: يمكنك أن تحاول العثور عليها الآن.

ألكسندر: ولماذا؟ ربما ماتت اليوم. أو تزوجت وأنجبت خمسة أطفال وصار وزنها مئة وعشرين كيلوغرامًا.

ماديسون: أو ربما ما زالت حية، وما زالت امرأة جميلة، وتفكر فيك من حين إلى آخر.

ألكسندر: أفضل ألا أعرف... وأن أحتفظ بصورة تلك الشابة الجميلة التي ترينها في الصورة. هل تتخيلين الصدمة بعد أربعين سنة؟ نحن لا نلاحظ شيخوختنا، لكننا نرى شيخوخة الآخرين بوضوح، صدقيني.

ماديسون: لست متأكدة أنني سأعيش حتى أرى نفسي أشيخ...

ألكسندر: آسف، لم يكن ينبغي أن أقول ذلك.

صمت قصير.

ماديسون: ألم تسمع مواء؟

ألكسندر: لا... ليس بعد.

ماديسون: ربما هو مختبئ في مكان ما هنا...

ألكسندر: أتمنى ألا يكون كذلك.

ماديسون: عدني أنك إذا متُّ، ستعتني بقطّي.

ألكسندر: لكنّك لن تموتي! ثم إن قطك سيموت قبلك على الأرجح. أظن... كم يعيش القط أصلًا؟

ماديسون: نحو خمسة عشر عامًا.

ألكسندر: وكم عمر قطك؟

ماديسون: سنتان.

ألكسندر: آه...

ماديسون: إذن؟ هل تقبل أن تتبناه؟

ألكسندر: أذكّرك أنني حين دخلتِ كان المسدس على صدغي.

ماديسون: بالضبط. سيعطيك ذلك سببًا كي لا تنتحر...

ألكسندر: تقصدين أن إطعام قط حبيبات بالخضار وتنظيف صندوق فضلاته كل يوم سيمنعني من الانتحار؟

ماديسون: إذا كان عليك أن تعتني بكائن آخر، نعم. إذا كان هناك من يحبك ويحتاج إليك وينتظرك في البيت حين تعود مساء.

ألكسندر: ينتظرني؟ أنا بالكاد أخرج من البيت، فما بالك بالمساء...

ماديسون: هل كنت تريد حقًا إنهاء حياتك قبل قليل، أم كان ذلك نداء استغاثة؟

ألكسندر: على أي حال، لا أذكر أنني ناديتك...

ماديسون: يبدو أنني سمعت النداء رغم ذلك.

ألكسندر: صحيح، أجد صعوبة متزايدة في العثور على أسباب للأمل.

ماديسون: هل تريد أن تحدثني عنها؟

ألكسندر: بالنظر إلى وضعك الشخصي، سيكون من غير اللائق أن أثقل عليك بقائمة أسباب اكتئابي.

ماديسون: أن تواصل القتال وأنت تعرف أن الحرب خاسرة أصلًا... أليس هذا هو الشجاعة الحقيقية؟

ألكسندر: لم أقل قط إنني شجاع. أتمنى لو كنت شجاعًا مثلك.

ماديسون: أنا لست شجاعة. لا خيار لدي، هذا كل شيء. على عكسك.

ألكسندر: أنا؟ لم يعد لدي خيار إلا بين الحبل لأشنق نفسي والمسدس لأفجر رأسي...

ماديسون: معك حق... أنت فعلًا شخص يبعث على الاكتئاب...

ألكسندر: حذرتك، أنا عجوز أحمق. لا أعرف إن كان هذا العصر أسوأ من عصر شبابي. ربما أنا فقط أكثر وعيًا الآن. والوعي، في العادة، لا يجعل المرء متفائلًا.

ماديسون: في النهاية، أظن أنني سأقبل كأس كونياك.

ألكسندر: متأكدة؟

ماديسون: لا بد للإنسان أن يموت من شيء.

يصب كأسين من الكونياك. يتبادلان النخب.

ألكسندر: في صحتك! عذرًا... أظن أنني أخطأت ثانية.

تبتسم. يفرغان الكأسين.

ماديسون: هذا يوقظ ميتًا.

ألكسندر: لم أشرب منذ نحو عشر سنوات. لا أعرف منذ متى هذه الزجاجة هنا. لكن الكحول يشيخ جيدًا، أليس كذلك؟ أفضل من المدمنين عليه على الأقل...

ماديسون: مع ذلك طعمه غريب. هل أنت متأكد أنه كونياك؟

ينظر إلى الزجاجة.

ألكسندر: أظن ذلك... لكنني لم أعد أتذكر جيدًا طعم الكونياك...

ماديسون: كنت أحب أن أعرف الشاب الذي كنت عليه.

ألكسندر: أي شاب؟

ماديسون: ذلك الذي كان يحب المرأة في الصورة، وكان لا يزال ممتلئًا بجنون الحياة...

ألكسندر: لا أعرف إن كان سيعجبك.

ماديسون: كان بالتأكيد ممتلئًا بالحماس والأمل.

ألكسندر: وبالطموح، على أي حال.

ماديسون: حقًا لم يعد لديك أصدقاء؟

ألكسندر: لا أطيق العجائز، لذلك أتجنب قدر الإمكان معاشرة من هم في سني. لا أريد أن يرفع أحد أمامي مرآة طوال الوقت كي أتأمل فيها تدهوري.

ماديسون: أنا متأكدة أنك لم تتوقف عن الكتابة طوال هذه السنوات.

ألكسندر: لهذا جعلتني أشرب؟ على أمل أن أبوح لك بأسراري...

ماديسون: الكاتب خُلق ليكتب.

ألكسندر: حسنًا، هذا صحيح. واصلت الكتابة... لكنني لن أنشر شيئًا بعد الآن.

ماديسون: لماذا؟

ألكسندر: قلت لك. لم أعد أكتب لكي أُقرأ. إلا ربما من الأجيال القادمة. ليس لدي ما أقوله لقراء اليوم.

ماديسون: ولا حتى لي؟

ألكسندر: أنا لا أعرفك. ما الذي يجعلك تظنين أن لدي شيئًا أقوله لك؟

ماديسون: ربما لدينا أشياء مشتركة أكثر مما تظن...

ألكسندر: باستثناء أننا محكوم علينا نحن الاثنين بالموت قريبًا؟

ماديسون: قل لي على الأقل ما موضوع كتابك...

يتردد لحظة.

ألكسندر: إنها رواية... شخصية جدًا.

ماديسون: سيرة ذاتية إذن...

ألكسندر: لنقل إنها «تخييل ذاتي»، كما يقولون اليوم.

ماديسون: ولهذا لا تريد نشرها؟ لأنها شخصية أكثر من اللازم؟

ألكسندر: أفضل أن أعتبر هذا المخطوط يوميات خاصة. لا أحب استعراض الحياة الحميمة. إذا نشرته سيقولون إنني في آخر عمري صرت أكتب روايات عاطفية رخيصة...

ماديسون: كنت أظن أنك لا تكترث لما يقوله الناس عنك.

ألكسندر: يبدو أنني لم أصل بعد إلى تلك الدرجة من الحكمة.

ماديسون: لأن الوصول إليها مستحيل.

ألكسندر: لا تضيعي وقتك في كتابة أطروحة عني. الأمر لا يستحق، صدقيني.

ماديسون: بالنسبة إليّ، الأمر مهم.

ألكسندر: لكن لماذا؟ عيشي حياتك بحق السماء! خصوصًا إذا كان يمكن أن تنتهي في أي لحظة... ثم إنني لا أصدقك، ولم تريني ذلك الملف الطبي حتى الآن.

ماديسون: إذا كنت لا تصدقني، فلماذا وافقت رغم ذلك على الحديث معي؟

ألكسندر: قلت لنفسي إن من يخترع قصة كهذه لا بد أن لديه سببًا وجيهًا. ما هو؟

ماديسون: الأمر معقد قليلًا...

ألكسندر: إذن كنت تكذبين. وقلبك بخير.

ماديسون: لنقل إن... مشكلات قلبي رمزية أكثر منها طبية.

ألكسندر: لماذا رويت لي كل ذلك؟

ماديسون: لأثير شفقتك، على ما أظن. كنت تريد طردي...

ألكسندر: يمكنني أن أفعل ذلك الآن...

ماديسون: لكنك لن تفعل.

ألكسندر: ولماذا؟

ماديسون: لأنني أثير فضولك...

ألكسندر: تقولين إن مشكلات قلبك رمزية. تقصدين... ألمًا عاطفيًا؟

ماديسون: إلى حد ما... مثلك، عانيت غياب شخص أحببته.

ألكسندر: وما علاقتي أنا بذلك؟

ماديسون: سأخبرك قريبًا، أعدك. لكن قبل ذلك أريد أن أطلب منك خدمة.

ألكسندر: قولي...

ماديسون: أريد أن أقرأ هذا المخطوط.

ألكسندر: ولماذا أسلمه لك؟

ماديسون: لأنك في أعماقك تريد أن يقرأه أحد، وأن يعطيك رأيه. الكاتب يكتب دائمًا لكي يُقرأ... ويُعترف به. لكي يُحب...

ألكسندر: الشخص الوحيد الذي كنت أريد أن يحبني... اختفى من حياتي منذ أكثر من أربعين عامًا.

ماديسون: أين المخطوط؟

يشير إلى ملف على مكتبه.

ألكسندر: هناك...

ماديسون: هل يمكنني رؤيته؟

تمد يدها لتأخذه، لكنه يمنعها.

ألكسندر: لا!

تتردد لحظة. تمر في عينيها لمحة حزن.

ماديسون: في النهاية، معك حق. أنت فعلًا عجوز أحمق. سأتركك تستمتع بالشفقة على نفسك...

تستعد للرحيل.

ألكسندر: انتظري...

يتردد، ثم يأخذ المخطوط ويمده إليها.

ألكسندر: سأسمح لك بقراءته بشرط واحد.

ماديسون: أنا أسمعك.

ألكسندر: هذا المخطوط لا يخرج من هنا.

ماديسون: تخشى أن أنسخه وأنشره من دون إذنك؟

ألكسندر: إما أن تقبلي أو ترفضي.

تأخذ الملف وتقدّر وزنه بيدها.

ماديسون: سيستغرق مني بعض الوقت.

ألكسندر: لست مستعجلًا. وأنت؟

ماديسون: وأنا أيضًا.

ألكسندر: لدي غرفة ضيوف إن أردت. لم أعد أستخدمها كثيرًا. كل أصدقائي ماتوا...

ماديسون: شكرًا على كرم الضيافة.

ألكسندر: سأتركك للقراءة...

يخرج. تنهمك في قراءة المخطوط.

إظلام.

ماديسون جالسة في مقعد وما تزال تقرأ المخطوط. تقلب الصفحة الأخيرة، ثم تغلق الملف وتبقى لحظة غارقة في التفكير. تنهض وتنظر نحو النافذة المقابلة، في جهة الجمهور. يدخل ألكسندر ومعه فنجانا قهوة. يضع أحدهما أمامها.

ألكسندر: تفضلي... أنبهك، إنها منزوعة الكافيين. فلا تعتمدي عليها كي تستيقظي.

ماديسون: شكرًا.

ألكسندر: إذن، لم تستطيعي الوصول إلى النهاية...

ماديسون: أنهيته للتو...

ألكسندر: بهذه السرعة؟ مستحيل، لا بد أنك تخطيت بعض الصفحات...

ماديسون: لا، أؤكد لك...

يبدو ألكسندر قلقًا قليلًا من الصمت الذي يلي.

ألكسندر: لا تشعري أنك مجبرة على أن تقولي لي رأيك... خصوصًا إذا لم يعجبك...

ماديسون: التهمته من الصفحة الأولى إلى الأخيرة. لم أنم لحظة طوال الليل.

ألكسندر: حسنًا... هذا يطمئنني قليلًا... لكنني لم أكن أظن أنني كتبت رواية تشويق.

ماديسون: إنه أفضل كتبك. فيه إنسانية كانت تفتقر إليها كل كتبك الأخرى.

ألكسندر: الآن لا أعرف إن كان ينبغي أن أعتبر ذلك مديحًا... فيما يخص بقية أعمالي على الأقل.

ماديسون: رواياتك الأخرى كانت لامعة. أما هذه فمؤثرة.

ألكسندر: ولاحظتِ؟ موضوعها مرتبط تمامًا بموضوع أطروحتك.

ماديسون: أطروحتي؟

ألكسندر: «صورة الغياب في العالم الروائي لألكسندر دولاكروا». نسيتِ بهذه السرعة؟

ماديسون: لا، بالطبع. ومعك حق. قصة ذلك الرجل الذي يختار في العشرين أن يعيش، ورفيقه الوحيد شبح حب شبابه...

ألكسندر: لا ينسى المرء حبه الأول أبدًا، لأنه يحن إلى شبابه نفسه. إلى كل المرات الأولى... يجب أن يبقى المرء وفيًا لحبه الأول، حتى لو لم يستطع دائمًا أن يبقى وفيًا لأول امرأة أحبها.

ماديسون: نعم، لكن في ذلك مخاطرة: أن يعيش الإنسان في الماضي...

ألكسندر: على أي حال، لا ينبغي أن نتخلى عن أحلامنا. إذن، هل تظنين أن عليّ نشره؟

ماديسون: إذا قلت لك نعم، هل ستفعل؟

ألكسندر: أنت خبيرة بأعمالي في النهاية.

ماديسون: أنا واثقة أن هذه الرواية يمكن أن تعيد إطلاق مسيرتك الأدبية... بالنسبة إليّ، تستحق جائزة غونكور الأدبية.

ألكسندر: لا تبالغي. أقدّر محاولتك رفع معنوياتي، لكن ينبغي أن يبقى الأمر قابلًا للتصديق...

ماديسون: أنا صادقة تمامًا، أؤكد لك.

ألكسندر: وموضوعية تمامًا، بالطبع.

ماديسون: تشك في ذلك؟

ألكسندر: لا أعرف... ثمة ما يخبرني أنك لم تأتِ إلى باريس فقط لكتابة أطروحة عن كاتب خرج من الموضة.

صمت قصير.

ماديسون: صحيح. لم أقل لك الحقيقة كلها.

ألكسندر: لست مريضة بالقلب. وليس لديك قط. وأفترض أنك لست طالبة أيضًا...

ماديسون: الحقيقة أنني أمريكية، وأنني جئت إلى فرنسا لكي ألتقي بك.

ألكسندر: تسكنين الشقة المقابلة منذ أسابيع بالفعل... لماذا الآن؟

ماديسون: صباح أمس، رأيتك من النافذة تحاول تعليق هذا الحبل في السقف. ثم أخرجت ذلك المسدس.

ألكسندر: لم أجد مكانًا مناسبًا لتعليق الحبل.

ماديسون: خفت عليك. خفت أن تختفي قبل أن أتمكن من معرفتك. أسرعت إلى هنا... وارتجلت.

ألكسندر: كان ارتجالًا ناجحًا جدًا. ينبغي أن تمثلي... لكن في الحياة كما في المسرح، علينا أن نحذر مما نراه خلف الستائر. أحيانًا لا يكون سوى وهم، أو إسقاطًا لأوهامنا نحن...

ماديسون: إذن الحبل لم يكن لتشنق نفسك؟

ألكسندر: وماذا لو كنت أريد فقط... تعليق ثريا؟

ماديسون: والمسدس؟

يخرج السلاح من الدرج.

ألكسندر: قد يكون لعبة. سلاحًا مزيفًا لإخافة اللصوص... أو مجرد ولاعة...يضغط الزناد فتخرج شعلة من الفوهة. ولاعة لم تعد تفيدني في شيء، بالمناسبة. أنا خائف من الموت إلى درجة أنني أقلعت عن التدخين. ومع ذلك أحتفظ دائمًا بعلبة سجائر في متناول يدي لأثبت لنفسي أنني قادر على مقاومة الإغراء. توقفت أيضًا عن الكحول، وحتى الكافيين. يمكنك أن تري إلى أي حد أعتني بصحتي...

ماديسون: إذن لم تكن تخطط فعلًا لإنهاء حياتك؟

ألكسندر: الخطة؟ ليس بعد. الرغبة ربما. في الحقيقة، هذه آخر رغبة بقيت لدي: أن أنتهي. لكن الانتحار يحتاج إلى شجاعة... وأنا لا أملك هذه الشجاعة. أو ربما لم أصل بعد إلى اليأس الكافي. ثم ما الفائدة؟ سأنتظر دوري مثل الجميع...

ماديسون: إذن لقاؤنا كله نتج عن سوء فهم بسيط؟

ألكسندر: يصعب عليّ أن أصدق أن شخصًا يعبر الأطلسي فقط ليقابل كاتبًا مثلي. وأنا لا أؤمن بالصدفة. فلماذا أنت هنا؟

ماديسون: سأخبرك، لكن أولًا شكرًا لأنك منحتني شرف أن أكون أول من يقرأ هذا المخطوط.

ألكسندر: أعجبك حقًا؟

ماديسون: إنه تحفة. لكن لدي ملاحظة صغيرة.

ألكسندر: ها قد وصلنا... كنت أستغرب غيابها. أنا أسمعك.

ماديسون: لم أجد النهاية مقنعة تمامًا...

ألكسندر: معك حق... إنها قصة غير مكتملة... كأنها تحتاج إلى خاتمة إضافية...

ماديسون: يمكنني أن أساعدك في العثور عليها...

ألكسندر: هل تكتبين أنت أيضًا؟ جئت لتقترحي عليّ تعاونًا؟ صحيح أن الإلهام بدأ ينقصني قليلًا، لكنني أحذرك: لم أصل بعد إلى مرحلة البحث عن كاتب ظل يكتب كتبي مكاني.

ماديسون: لا، لم آتِ من أجل ذلك...

ألكسندر: وقصة الأطروحة اختراع أيضًا. إذن لم تمثلي هذه المسرحية كلها من أجل شرف إجراء حديث أدبي معي...

ماديسون: لا. ليس لهذا فقط...

ألكسندر: إذن لماذا؟

ماديسون: أظن أن الجواب موجود في المخطوط الذي قرأته للتو. «النافذة المقابلة»... لماذا هذا العنوان؟

ألكسندر: النافذة المقابلة... هي نافذة الشقة التي تسكنينها اليوم. هناك كانت تعيش المرأة التي أحببتها يومًا.

ماديسون: والتي لم تخرج من أفكارك منذ رحيلها.

ألكسندر: كثيرًا ما حلمت بأنها تعود. وأنها ذات يوم ستدفع بابي وتدخل، كما فعلت أنت اليوم...

ماديسون: ولهذا تترك الباب مفتوحًا دائمًا...

ألكسندر: أحيانًا كنت أظن أنني أرى ظلًا خلف ستائر النافذة المقابلة. حين سكنتِ هناك وكنت أرى الضوء ليلًا، كنت أتخيل أنها هي...

ماديسون: لم أكن سوى أنا.

ألكسندر: أنت تشبهينها قليلًا... ولهذا تراجعت للحظة حين رأيتك للمرة الأولى قبل قليل. لثانية ظننت أنك هي، في العشرين. ثم تذكرت أنها اليوم ستكون تقريبًا في سني...

ماديسون: صحيح، أنا أشبهها.

ألكسندر: لا تقولي إنك شبحها.

ماديسون: لا، أنا حقيقية تمامًا.

ألكسندر: لكن هناك شيء آخر، أليس كذلك؟

ماديسون: نعم.

ألكسندر: لماذا قلتِ إن وجهها بدا مألوفًا لك؟

صمت قصير.

ماديسون: أنا حفيدتها.

صمت.

ألكسندر: حفيدتها؟

ماديسون: حين رحلت إلى أفغانستان كانت حاملًا. اكتشفت ذلك بعد رحيلها بقليل.

ألكسندر: حاملًا... مني؟

ماديسون: نعم.

ألكسندر: لماذا لم تقل لي شيئًا؟

ماديسون: قلتَ بنفسك، كان زمنًا آخر. لم ترد أن تفرض عليك هذا الطفل. ظنت أنها تستطيع تربيته وحدها، وهذا ما فعلته.

ألكسندر: لم أعرف شيئًا عن ذلك أبدًا.

ماديسون: وأنا أيضًا لم أعرف إلا منذ وقت قريب.

ألكسندر: متى عرفتِ؟

ماديسون: منذ بضع سنوات. حين بلغت الثامنة عشرة، روت لي جدتي القصة. قصة حبكما...

ألكسندر: إذن أنت حفيدتي.

ماديسون: نعم. أنا حفيدتك. صمت قصير. ألا تصدقني؟

ألكسندر: بل أصدقك... والغريب أنه بعد كل الأكاذيب التي قلتها لي، لا أشك في هذا أبدًا.

ماديسون: أتفهم أن سماع ذلك ليس سهلًا. خذ وقتك. أنت لا تدين لي بشيء. وإذا أردت، سأرحل كما جئت ولن تسمع عني أبدًا.

ألكسندر: ابقَي، أرجوك.

ماديسون: أنا هنا.

صمت قصير.

ألكسندر: أستطيع أن أفهم لماذا لم تقل لي شيئًا في ذلك الوقت. لكن بعد ذلك؟

ماديسون: أكرر لك: لم ترد أن تفرض عليك الأبوة. وبعد ذلك فقدت أثرك.

ألكسندر: بعد رحيلها بقليل، تركت هذه الشقة. لم أعد أحتمل أن أرى كل يوم هذه النافذة التي تذكرني بغيابها.

ماديسون: أرسلت إليك رسالة منذ زمن بعيد، لكنها عادت إليها وعليها عبارة: «لم يعد يقيم في هذا العنوان».

ألكسندر: عدت للسكن هنا منذ بضع سنوات، تحديدًا لكتابة هذا الكتاب. كأنني كنت أحاول أن أطرد أشباح الماضي.

ماديسون: لكن شبحها لم يتوقف عن مطاردتك...

ألكسندر: عرفت نساء أخريات، طبعًا. لكنني عشت حياتي كلها في ذكرى ذلك الحب الأول. لم أحب أحدًا غيرها...

ماديسون: لم تكن تعرف إن كنت قد تزوجت أو أسست أسرة من جانبك.

ألكسندر: لم أفعل.

ماديسون: سمعت عنك حين أصبحت كاتبًا مشهورًا.

ألكسندر: كان أملي في استعادتها أحد الأسباب التي جعلتني أبذل كل ما بوسعي لأنجح في عالم الأدب. وأيضًا لكي يسهل عليها العثور عليّ بفضل شهرتي. كان يمكنها الاتصال بي حينها.

ماديسون: كانت تخشى أنك ستظن أنها عادت بدافع المصلحة بعد أن أصبحت كاتبًا ناجحًا...

ألكسندر: إذن لدي ابنة...

صمت قصير.

ماديسون: وبخصوص مرضي أيضًا، لم أكذب عليك إلا نصف كذبة. أمي هي التي كان قلبها ضعيفًا. ماتت بعد ولادتي بقليل، من دون أن تعرف حتى من كان والدها.

ألكسندر: أنا آسف لسماع ذلك.

ماديسون: جدتي هي التي ربّتني. وحين بلغت سن الرشد أرادتني أن أعرف من هو جدي، لكنها لم تجرؤ على الاتصال بك من جديد.

ألكسندر: فقررتِ أن تفعلي ذلك مكانها، وجئت إلى باريس.

ماديسون: لم أستطع أن أتخيل أن أروي لك كل هذا في رسالة أو عبر الهاتف. أردت أن ألتقي بك أولًا. كانت لديك سمعة رجل منعزل وصعب المراس. ولو لم أجدك لطيفًا لما أخبرتك بشيء، ولعدت إلى نيويورك.

ألكسندر: لكنني استقبلتك بجفاوة شديدة إلى درجة أنك قررت تبنّي...

ماديسون: والأهم أنني قرأت هذا المخطوط. وفهمت أنك لم تنس تلك المرأة أبدًا. جدتي...

ألكسندر: أحسنتِ بالمجيء... وبأن تروي لي نهاية هذه القصة.

ماديسون: ليست النهاية تمامًا بعد...يتلقى ألكسندر الصدمة. هل أنت بخير؟

يلجأ إلى الدعابة ليخفي تأثره.

ألكسندر: كنت مكتئبًا أصلًا بسبب سني، والآن تخبرينني أنني جد.

ماديسون: ألا يسعدك ذلك؟

ألكسندر: بلى طبعًا... لكنني أكتشف في الوقت نفسه أن لي ابنة، وأنها ماتت.

ماديسون: لكنني هنا... بالكاد عرفت أمي، والآن أجد جدّي.

يأخذ ألكسندر المخطوط.

ألكسندر: سأنشر هذا الكتاب. وسأهديه إلى تلك الابنة التي لن أعرفها أبدًا، وإلى تلك الحفيدة التي اقتحمت بيتي يومًا من دون سابق إنذار...

ماديسون: الباب كان مفتوحًا...

ألكسندر: لكن ما زال عليّ أن أجد نهاية حقيقية لهذه الرواية.

ماديسون: وهنا يمكنني مساعدتك، قلت لك.

ألكسندر: لا أعرف إن كان قلبي سيحتمل طويلًا إذا كان لديك مزيد من المفاجآت.

ماديسون: تبقى مفاجأة أخيرة فعلًا.

ألكسندر: قوليها. لم يعد هناك ما يفاجئني...

ماديسون: جدتي ما زالت حية.

ألكسندر: وأين تعيش اليوم؟

ماديسون: في نيويورك.

ألكسندر: إذن قبّليها بحرارة من أجلي...

ماديسون: يمكنك أن تفعل ذلك بنفسك.

ألكسندر: ستعيدينني معك إلى أمريكا؟

ماديسون: جدتي جاءت معي. إنها في الشقة المقابلة.

صمت قصير. يبدو مرتبكًا بوضوح.

ألكسندر: الآن بدأت أخاف فعلًا...

ماديسون: ما زالت امرأة جميلة جدًا... ولم تنسك قط. قرأت كل كتبك...

ألكسندر: لكنها لم ترغب في معرفة حياة الكاتب.

ماديسون: ألم تقل إن ذلك لا أهمية له؟

ألكسندر: الغائبة في هذه الرواية هي هي.

ماديسون: نعم، لكنها لم تقرأها بعد... لم تكن تعرف إن كنت ما زلت تتذكرها... أو إن كنت ما زلت تحبها...

ألكسندر: ما زلت أحبها... وهذا الكتاب هو الدليل.

ينظر في اتجاه الجمهور، نحو النافذة المقابلة.

ماديسون: إذن؟ هل أطلب منها أن تأتي؟

ألكسندر: هي عبرت الأطلسي لتجدني. أستطيع أنا أن أعبر الممر لأذهب إليها...

يقبّل ألكسندر ماديسون.

ماديسون: سأدعك تذهب وحدك. سترى، لم يتغير شيء تقريبًا خلف النافذة المقابلة. والباب ما زال مفتوحًا...

يخرج. تبقى ماديسون وتنظر نحو النافذة.

إظلام.

النهاية

عن المؤلف

وُلد جان بيير مارتينيز عام1955 في أوفير سور واز (فرنسا). وهو كاتب مسرحي وسيناريست فرنسي، ألّف أكثر من120 مسرحية كوميدية معاصرة. تُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات، وعُرضت مسرحياته في فرنسا وفي بلدان عديدة حول العالم.

يجمع مسرحه بين الكوميديا والعبث والسخرية الاجتماعية والكوميديا السوداء، من خلال مواقف يومية تنقلب تدريجيًا إلى أحداث غير متوقعة.

يمكن للفرق المسرحية الهاوية والمحترفة التي تبحث عن نصوص لعرضها تنزيل مسرحيات جان بيير مارتينيز مجانًا من موقعيه:

https://jeanpierremartinez.net

https://comediatheque.net

لكن حقوق العرض، التي تمثل تعويضًا عادلًا عن عمل المؤلف، تُعد التزامًا قانونيًا. وسواء كنتم فرقة هاوية أم محترفة، يجب عليكم طلب إذن بعرض المسرحية ودفع حقوق المؤلف المستحقة عن الإنتاج.

تمثّل الجمعية الفرنسية للمؤلفين والملحنين الدراميين (SACD) جان بيير مارتينيز.

للتواصل مع جان بيير مارتينيز وطلب الإذن بعرض أحد أعماله، يُرجى استخدام أحد نموذجي الاتصال التاليين:

https://comediatheque.net/contact-form

https://jeanpierremartinez.net/en/contact-2

هذا النص محمي بموجب قوانين حقوق المؤلف.
ويُعدّ أي انتهاك لحقوق المؤلف جريمة يعاقب عليها القانون.

وبموجب التشريع الفرنسي، قد تصل عقوبة انتهاك حقوق المؤلف إلى ثلاث سنوات من السجن وغرامة قدرها 300,000 يورو.

أفينيون – سبتمبر 2026

ISBN

978-2-38602-466-5

© La Comédiathèque

https://comediatheque.net

https://jeanpierremartinez.net

النص المسرحي متاح للتنزيل مجانًا